**بسم الله الرحمن الرحيم**

**الدرس الخامس عشر** **الأستاذ: سماحة العلامة الشيخ معين دقيق**

**الدرس: تفسير القرآن الكريم** **المبحث: سورة لقمان**

**التاريخ:2021\9\ 29م** **كتبه: عبدالله ضيف الستري البحراني**

وصل الكلام إلى قوله تبارك وتعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُواً أُولئِكَ لَهُمْ عَذابٌ مُهِينٌ﴾[1] للأسف الشديد أن الذين تناولوا الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم من القدماء لم يركزوا كثيراً على الصور والسياقات القرآنية، ونلاحظ أن القرآن الكريم مملوء بالصور المتقابلة، دائماً وفي الأعم الأغلب يبين لنا ويعطينا صورة ثم يأتي بما يقابلها، ففي هذا الموضع الذي هو شبيه بما جاء في سورة البقرة ﴿وَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِما أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَ ما أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (4)أُولئِكَ عَلى هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ وَ أُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (5) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَواءٌ عَلَيْهِمْ أَ أَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ (6) خَتَمَ اللَّهُ عَلى قُلُوبِهِمْ وَ عَلى سَمْعِهِمْ وَ عَلى أَبْصارِهِمْ غِشاوَةٌ وَ لَهُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ (7)﴾[2] فبينت صورة أهل الإيمان ثم بين صورة أهل الكفر والنفاق، وفي سورة النمل أيضا شبيهة بهذه الصورة، يقول تعالى: ﴿هُدىً وَ بُشْرى لِلْمُؤْمِنِينَ (2) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَ هُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (3) إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ (4)﴾[3] فجمع بين صورتين.

وهذا في القرآن الكريم في غاية الكثرة، الجمع بين صور متقابلة، في بعض الأحيان الجمع بين الصور المتقابلة يأتي كإشارة، ولا يركز عليه، كلمحة تعرض على الذهن لتدهشه، فمثلاً: نلاحظ التقابل في تصوير مشهدين في قوله تبارك وتعالى في سورة الشورى: ﴿وَ مِنْ آياتِهِ خَلْقُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما بَثَّ فِيهِما مِنْ دابَّةٍ وَ هُوَ عَلى جَمْعِهِمْ إِذا يَشاءُ قَدِيرٌ﴾[4] بث فيهما تدل على التفريق وجمع، بث وجمع، بحركة سريعة قابل بينهما في جملة واحدة، في سورة الغاشية ﴿هَلْ أَتاكَ حَدِيثُ الْغاشِيَةِ (1)

---

[1] لقمان 6
[2] البقرة 4-6
[3] النمل 2-4
[4] الشورى 29

وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خاشِعَةٌ (2) عامِلَةٌ ناصِبَةٌ (3) تَصْلى ناراً حامِيَةً (4)تُسْقى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ (5) لَيْسَ لَهُمْ طَعامٌ إِلاَّ مِنْ ضَرِيعٍ (6) لا يُسْمِنُ وَ لا يُغْني مِنْ جُوعٍ (7) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناعِمَةٌ (8) لِسَعْيِها راضِيَةٌ (9)في جَنَّةٍ عالِيَةٍ (10)﴾[5] هذا التزاوج بين مشهدين متقابلين في غاية الكثرة في القرآن الكريم، ولكن كما أشرت قبل قليل، أن علماء البلاغة وخصوصاً ما يعرف بمدرسة السكاكي، في الواقع نحت بعلوم البلاغة منحاً تجزيئي، وصبوا جلّ نظرهم على المفردات، وأن هذه الكلمة استعملت في غير معناها أم لم تستعمل في غير معناها، الآن عندي عقيدة خاصة في السكاكي أنه هو الذي حرم الأمة من منحاً بلاغي لو استمر لتبين للبشرية إعجاز القرآن الكريم بشكل واضح وملموس، هذه مدرسة السكاكي، بخلاف مدرسة القدماء، ومنهم الشيخ عبدالقادر الجورجاني، اهتموا في الصور بينما السكاكي لم يهتم بالصور، ذهب إلى الأمور الجزئية ومشى عليها، وتبع السكاكي من جاء بعده، الخطيب القزويني والتسفتزاني، ودخلوا في متاهات الألفاظ وشرح الكلمات وما شابه ذلك.

بينما إذا نرجع إلى مثل كتاب دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة، وكذلك كتاب ابن قدامة والقدماء من علماء البيان والبلاغة، نجد أنهم ركزوا على المشاهد القرآنية تركيزاً كبيراً.

كيف ما كان مثل هذه الأمور في القرآن الكريم ينبغي أن يقف عندها المفسر، هذا الأسلوب القرآني في مقام بيان مشهدين، مشهد لأهل الحق، ومشهد لأهل الباطل، يجمعهما في سياق واحد، يبين مقام هؤلاء ومقام هؤلاء، يبين مواقف كل فريق من هذين الفريقين، والأثر والنتيجة التي يعودون به إلى أنفسهم، ويضع هذا المشهد المتكامل بمرأى ومسمع من الناس، الآن الخطيب إذا أن يؤثر في الجماهير، من أهم الوسائل، ومن أهم الأساليب هذا التصوير المقارن، هذا التجسيد لمشهدين متقابلين، وجعلهما معاً، ففي مشهد أهل الحق يوجد المحسنون، وحركة ومسيرة هؤلاء المحسنين إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة؛ لأنهم أيقنوا بالآخرة، في المشهد الآخر من الصورة هناك جماعة لم يستفيدوا من﴿تِلْكَ آياتُ الْكِتابِ الْحَكِيمِ﴾[6] فلم يستفيدوا من الآيات المملوءة بالحكمة، المحكمة المبرمة، لم يستفيدوا منها ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُواً أُولئِكَ لَهُمْ

[5] الغاشية 1- 10
[6] لقمان 2

عَذابٌ مُهينٌ﴾[7] إذن في هذا المشهد الآخر ذكر جماعة عنونهم بعنوان عام، بعنوان مبتذل، لكثرته، ناس، ليس فيه أي مدح، هؤلاء ناس، همج رعاع، ومن الناس هؤلاء عنوانهم هكذا، بخلاف في أولئك كان عنوانهم أنهم من المحسنين، كان عنوانهم أنهم يقيمون الصلاة ويأتون الزكاة، هؤلاء عنونهم بهذا العنوان المتواجد في الخارج، والمبتذل، ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾، طبعاً هذه الآية جاء فيها بعض الروايات تدلل على أن النضر بن الحارث[8] كان يخرج من مكة، ويدفع أموال في بعض المدن التي كانت الحضارة فيها أكثر تطوراً من مكة، ويعطوه القصص والأحاديث وما شابه ذلك، فيأتي ويرويها على الناس ليمنعهم عن الاستماع إلى آيات الذكر الحكيم، وفي رواية أخرى[9] أنه كان يأتي بالجواري المغنيات، فكانوا في مكة إذا عرفوا أن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله تكلم مع أحد من الناس، أرشده وعظه، يأتون له مثلاً في الليل، فيأتون بالجواري والمغنيات حتى ينسى ذلك الوعظ والإرشاد.

إذن هناك ذكر أنزل من السماء، هذا الذكر في حد ذاته نور وهدى، لكن هناك فئة من الناس يستفيدون منه تمام الاستفادة، وهناك فئة أخرى ليس فقط لا يستفيدون منه، بل صدون عنها، ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾، مرة يشتري الحديث ربما يقبل، مرة لا، يشتري لهو الحديث، الأحاديث التي فائدة فيها، لا حكمة فيها، لا نفع فيها، ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ مرة يشتري لهو الحديث ليتسلى، ومرة يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله، يعني الأوصاف التي ذكرت في هذه الآية والتي تدلل على تنزل طبقة هؤلاء الناس في غاية الدقة:

أولاً: ناس، وصف وعنوان مبتذل.

ثانياً: يدفعون الأموال في مقابل لهو الحديث.

ثالثاً: يسعون نحو لهو الحديث.

---

[7] لقمان 6

[8] الميزان ج 16 ص 212: في المجمع،": نزل قوله تعالى: «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ» في النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة- بن عبد الدار بن قصي بن كلاب- كان يتجر فيخرج إلى فارس فيشتري أخبار الأعاجم- ويحدث بها قريشا و يقول لهم: إن محمدا يحدثكم بحديث عاد و ثمود- و أنا أحدثكم بحديث رستم و إسفنديار- و أخبار الأكاسرة فيستمعون حديثه و يتركون استماع القرآن": عن الكلبي.
أقول: و روى هذا المعنى في الدر المنثور، عن البيهقي عن ابن عباس، و لا يبعد أن يكون ذلك سبب نزول تمام السورة كما تقدمت الإشارة إليه.

[9] الأمثل ج 13 ص 13: وقال البعض الآخر: إنّ هذا المقطع من الآيات نزل في رجل اشترى جارية مغنّية، وكانت تغنّيه ليل نهار فتشغله عن ذكر الله>

رابعاً: غايتهم ليست سليمة، ليضل عن سبيل الله.

خامساً: بغير علم، فعله هذا وشراؤه هذا ناشئ من الجهل.

خمس أوصاف، فإذن انظروا وقارنوا حركة هؤلاء، حركة الطبقة الأولى والفئة الأولى، الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة، ذابوا في عبودية خالقهم، وانعكس ذلك نفعاً على الخلق، أما حركة المشهد الثاني تختلف كلياً، هؤلاء صرفوا مالهم ووقتهم وعمرهم في الإضلال عن سبيل الله، ومنشأ ذلك هو الجهل، ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ سبيل الله هو الذي جاء في أول السورة ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ بل أكثر من ذلك، ليس فقط عن سبيل الله ﴿وَيَتَّخِذَهَا هُزُواً﴾ وهنا يأتي المؤثر النفسي بعد أن بيّن حركة هؤلاء وموقف هؤلاء، تأتي الآية بشكل سريع أيضاً بالأسلوب نفسه، باستعمال اسم الإشارة ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ لتدلل على أن هذا الجزاء من سنخ أعمالهم، لأجل تلك الأعمال والصفات التي اتصفوا بها، تضع هذه السورة المباركة أمام أعين الناس ثلاثة أمور في مشهدين متقابلين:

الأمر الأول: العنوان، المشهد الأول هم أهل الإحسان، المشهد الثاني هم الناس.

الأمر الثاني: حركتهم العملية، في المشهد الأول يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة، في المشهد الثاني يشترون لهو الحديث ليضلوا عن سبيل الله.

الأمر الثالث: النتيجة والعاقبة، في المشهد الأول أولئك على هدى ربهم، وأولئك هم المفلحون، في المشهد الثاني أولئك لهم عذاب مهين.

هذا عندما يتأمل فيه العاقل حتماً سوف يتحيز، ويكون من أتباع المشهد الأول وفقنا الله وإياكم إن شاء الله لنكون كذلك، والحمد لله رب العالمين.